

عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 90 / 16 آذار 2017



عدسة من دير الزور
خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina



الثورة المنتصرة ولو بعد حين

باقت المعادلة واضحة، حالما يهدأ استهداف الطيران والمدفعية يخرج أبناء المناطق المحررة، حاملين الأعلام الخضراء، لتحية الثورة، ولا سيما عند مفاصلها الهامة أو في ذكراها. لا شك أن الإنهاك بلغ من السوريين، وخاصة أبناء هذه المناطق، مبلغه، لكن هذا لم يدفعهم إلى الاستسلام كما يأمل الأسد وحلفاؤه متعدّدو الجنسيات. غير أن الرهان على صمود «أسطوري» لانهائي لقوى الثورة، العسكرية والمدنية، وجمهورها، هو رهان ليس واقعي، ومن هنا تأتي الحاجة الملحة إلى دعم دولي جاد لمطالب السوريين في الحرية والكرامة، وهو ما كان يجب أن يحصل منذ أطلق نظام الأسد لوحشيته العنان، ولو حدث لوفر الكثير من الدماء وحجم الكثير من التطرف والنوازع الثأرية. هذا ما طالب به السوريون قبل خمس سنوات تماماً، ويطالبون به حتى اليوم، حين يشاركون في مفاوضات جنيف أو يقاطعون مباحثات الأستانة، والهدف واحد في الحالتين... ضمانات دولية لوقف القتل. وهو ما لم يمنحهم إياه أحد، لا الدول الغربية الصديقة العاجزة للثورة، ولا حلفاء النظام من منتحلي ثوب الحياد والحكمة زوراً ووقاحة. وقعت الثورة في أخطاء، وهذه لازمة تاريخية لكل الثورات. ولم تكن الثورة ضعيفة في أي وقت، وكان بمقدورها وحدها إسقاط النظام، كما اعترف حلفاء النظام الروس والإيرانيون متباهين بأدوارهم المتصاعدة لإنقاذه، ولم يبد الأصدقاء المقترضون للثورة الاستجابة اللازمة مقابل هذه الأدوار، ليقع الحمل الثقيل في مقاومة الطغيان على السوريين العزل وحدهم. في ذكرى الثورة نستحضر حكايات الشهداء، أسماءهم، وجوههم، وعيونهم الغارقة في الذهول لحظة الموت، قبورهم، نستحضر المغيبين في ظلام المعتقلات الرهيب، ونستحضر المشردين الهائمين على وجوههم في الأرض التي ضاقت عليهم بما رحبت. نقيس مقادير العذاب التي لحقت بهم، نقيس المظالم التي نزلت بنا ولا تقاس. في ذكرى الثورة، عزم واحد يجب أن يملأ قلوبنا، هو ألا نساوم، لا نصالح منكسرين، لا نتنازل ولا نعترف بفارق القوة الراهن اليوم، فسوف يتغير في وقت ما، قريب أو بعيد، وسوف يدفع القتلة الثمن. في ذكرى الثورة نجدد الثقة بها، بأنها الحق والواجب وسبيل الخلاص الوحيد.

- 3 دواعش الرقّة.. سفاهة تتصاعد وسقوط وشيك
- 4 شرعيو داعش ودعاتها.. إعداد مستعجل وتنافس على قطع الرؤوس
- 7 الثورة والثوار في أوروبا
- 8 نباهة أمين الفرع، أو، البعث أولى بكم
- 10-13 اللاجئون السوريون في 4 بلدان (ملف)
- 14 رياض درار.. حين يلحق الأب العربي الأبناء
- 16 «قسد» ليست القوة المناسبة لتحرير دير الزور
- 19 سفير الجراد «العجي» الذي سيصبح وزير أوقاف



دواعش الرقة: سفاهة تتصاعد وسقوط وشيك

فاصل عيساوي

Associated Press

في جامع النور بحيّ الدرعية على أطراف مدينة الرقة، قال الشيخ علي (مصري الجنسية) في خطبة الجمعة الأخيرة، إن الأميركيين استخدموا السلاح النووي ضد «الدولة الإسلامية»، وإن المجاهدين يصمدون صموداً فاجأ أعدائهم، وإن على أهل الرقة اليوم أن يساندوا دولتهم مثلما فعل أهل الموصل.

وحذر الشيخ من أن الأميركيين سيهدمون البيوت فوق رؤوس ساكنيها، واتهم كل من لا يبايع «الدولة» ويحمل السلاح في صفوف جنودها الآن بأنه «ديوث» ينتظر «الملاحدة ليزنوا بأهله». في الجوامع الأخرى تحدث خطباء داعش بالمعنى ذاته وإن تفاوتت درجة البذاءة. فخلال الأسابيع الأخيرة صار من المألوف، على ألسنة الشرعيين وعموم الدواعش، أن يحرضوا على الانضمام إلى التنظيم بعبارات لا تقل عن سفاهة خطيب جامع النور. وصارت رؤية رجال من المدينة يرتدون الزي الذي فرضته داعش، دون أن يبايعوها، تستفز الشرعيين ليسألوا: «ليش تلبسون لباس المجاهدين؟! اشلحوه أشرف لكم والبسوا لبس النسوان. أنتم موزلم». تعبّر اللغة العصبية والمنحطّة التي يخاطب بها الدواعش الناس في الرقة عن إحساسهم العميق باقتراب نهايتهم فيها، دون أن يعترفوا بذلك بينما يسعون إلى إلقاء المزيد في سفيتهم المشوكة على العرق. فقد تركت الهزائم التي منيت بها داعش مؤخراً أثراً مختلفاً في نفوس عناصرها عن هزائم سابقة، لا سيما مع اقتراب «قوات سوريا الديمقراطية» (قسد) إلى مسافة 15

خلال النهار يتيه آباء وأمّهات من حي إلى آخر بحثاً عن «ديوان الجند» أو عن الذائبة ليسألوا عن مصير أبنائهم مجهولي المصير في صفوف التنظيم. وعندما يستدلون على البيت الذي نقل إليه هذا الديوان، كمقر جديد تحاشياً لغارات التحالف، لا يحظون بإجابات شافية، وأحياناً في الأوقات التي يتعكر فيها مزاج الدواعش، يطردونهم بالقوة والتهديد. وكذلك شأن آباء وأمّهات آخرين يبحثون عن مكتب «العلاقات العامة والعشائر» للسؤال عن أبنائهم المعتقلين في السجون. وفي الحالتين، بل في كل الحالات التي يكون فيها الإنسان مقيماً في الرقة، يظل احتمال أن يقتل فوراً بهجمات التحالف، أو يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد حين تحت

بقي في مدينة الرقة نحو 190 ألف نسمة. وفي المحافظة، أو في الأجزاء المتبقية تحت سيطرة داعش منها، أقل من 400 ألف، بمن فيهم النازحون القدامى والجدد من ريف حلب الشرقي وبعض القرى في ريف المدينة الشمالي. وظهرت، قرب المدن والبلدات والقرى، مخيمات جديدة، مثل الطبقة والمنصورة وهنيدة ودبسي فرج ودبسي عضان، بينما أثر سكان أن يهيموا على وجوههم على الأطراف القريبة من البادية أو على ضفاف نهر الفرات.

الأنقاض، قائماً، قياماً الرعب اليومي المتواصل في الأرض ومن السماء.

وتزيد المشهد السوداوي عبثية ملاحقة الحسبة للمارة في الشوارع للتعذيب بتعاليم اللباس. ففي الوقت الذي يتلظى فيه الناس بحثاً عن جدار أو سقف أو متر مربع آمن من قذائف الموت وهدير الطائرات، تقبض الحسبة على مخالفي لحي، وتقيس مسافة ارتفاع القماش في سراويل الرجال عن كعب القدم. وبصمت، وقليل من الاهتمام، يشيع الأهالي قتلهم، سواء سقطوا بالقصف أو في صفوف داعش على جبهات القتال.

كم فقط عن المدينة في الشمال الشرقي، بالتزامن مع انتزاع الجيش الحر مدينة الباب من قبضتهم، وانسحابهم المتتالي أمام قوات الأسد دون قتال تقريباً. وإلى جانب خسائر الأرض لا تقل خسائر الأرواح فداحة، إذ تقدر مصادر خاصة عدد القتلى في صفوف داعش في «ولاية الرقة» خلال الشهرين الأخيرين بأكثر من 350، سقط معظمهم في معارك الريف الشمالي للمدينة والغارات الجوية المصاحبة لها. ورغم ذلك يقول الدواعش إنهم سيقاتلون حتى الموت في الرقة، ويواصلون ليل نهار حفر الخنادق ورفع السواتر وتفخيخ الأنفاق على أطراف المدينة التي باتت -مع بعض القرى المتصلة بها- معزولة

شرعيو داعش ودعاتها

إعداد مستعجل وتنافس على قطع رؤوس المحكومين

همام الحمد

عبد المحسن الخلف (مزهاف) قبل البيعة وبعدها

لا تُعرف الطريقة التي يتحول بها مباح ما لداعش من عضو عادي في التنظيم إلى شرعي (داعية ومفت صغير)، ولا تُعرف المعايير التي ينتقى على أساسها اليوم الشرعيون الجدد. لكن لا بد لكل طامح بهذه الوظيفة أن يحفظ، بشكل مختصر، الأحكام العامة وأدلتها في مسائل التوحيد ونواقض الإسلام والجهاد والعبادات.

شرعي آخر من مدينة حلب ينشط في بلدة أبو حمّام، كان يلقي درساً عن الزكاة بلهجة العامية، فبلغ به الحماس وهو يشرح أهمية هذه الفريضة أن قال إن «النبى محمد صلى الله عليه وسلم بحروب الردة ذبح آلاف وآلاف المرتدين لأنهم ما رضوا يدفعوا زكاة»، ناسياً أن حرب الردة وقعت بعد وفاة النبي.

ولا يتردد عبد الرحمن، وهو شرعي شاب عين منذ أشهر، في تكفير أو شتم أي شخص مع كل سورة غضب تنتابه. ولم يوفر حتى والده السبعيني حين رآه يدخن سراً، فكفّره ووصفه بالخنزير الهرم، قبل أن يغادر ويفرض العودة مرة أخرى إلى «بيت ابن سلول» هذا، على حد تعبيره.

يبالغ شرعيو داعش في إعلاء شأن «دولتهم» إلى درجة تكاد تكون فيها أهم تجربة في التاريخ الإسلامي كله. كما يحلو لبعض الشرعيين أن يقارنوا خلافة عمر أو عثمان أو علي أو الأمويين وصلاح الدين، بالبغدادي و«دولته».

ما أشيع، وكانت عقوبته الجلد في ساحة عامة ثم النفي لمدة عام إلى العراق، في الوقت الذي يلقي بالمتهمين بهذا الفعل في العادة «من شاهق» عقوبة لهم.

وفي ساحة الفيحا في مدينة البوكمال، أثناء اجتماع الناس لمشاهدة حفلة إعدام من حفلات داعش المتكررة، لم يقاوم قارئ بيان الحكم، وهو شرعي محلي كان مربى حمّام سابق، هويته المحرمة تلك - وفق داعش - فراح ينظر إلى السماء متتبعاً تحليق الحمام فوق الساحة، مما أضحك عارفيه من الجمهور رغم الجو الدامي. ليس تنفيذ أحكام القصاص من صلب أعمال الشرعيين عادة، لكنهم يتنافسون على هذه المهمة بإلهام من حديث نبوي يقول «لا يجتمع الكافر وقاتله في النار».

شرعي البوكمال الحالي، مربى الحمام السابق، كوفئ من قبل رؤسائه مؤخراً بأن يطلق النار أو يجز رؤوس المحكومين بيده. قبل أن يبايع التنظيم كان أحمد الفتيح، وهو شاب من قرية أبو حردوب بريف دير الزور الشرقي، عاملاً بأجر يومي في ورشة لتصليح الإطارات. وصار، بعد أن التحق بداعش وخضع لدوراتها، شرعياً مشهوراً يوجب مساجد قريته، يفتي الناس ويلقي الدروس. سأله أحد الحضور مرة: «يا شيخ، يصير لما نذبح ذبيحة نقول في سبيل الله ورسوله؟» فأجاب الفتيح «لا ما يصير»، ثم تراجع فوراً بـ «لا يصير»، ليتراجع مرة أخرى متلئماً مع هذا السؤال الإشكالي، ويصبح مثلاً عن جهل شرعيي داعش ودعاتها حتى في البديهيات أحياناً.

يتولى ديوان الدعوة والمساجد إدارة الشرعيين الملتحقين به وفرزهم إلى مناطق مختلفة بعد إعداد سريع لا يستغرق أحياناً أكثر من شهر، يخضع خلاله المقبولون لدورة خاصة قبل أن يباشروا المتخرج عمله في حيز مكاني محدد، بلدة أو قرية، وحده أو إلى جانب زملاء آخرين. ويبدو أن الواسطة والتعلق لمسؤولي «الدعوة والمساجد» هما العاملان الأبرز في تعيين شخص ما في هذه الوظيفة المريحة وذات المزايا المتعددة مقارنة بوظائف مباعى داعش الأخرى.

يندر أن يكون في فئة الشرعيين حاملو شهادات جامعية أو دارسون سابقون لعلوم الدين الإسلامي. والكثير منهم حائزون على الشهادة الإعدادية فقط، حسب ما يبدو من تتبع سيرهم. لا يهتم التنظيم كثيراً بهذه الجانب، إذ يحتقر كل المنابر الدينية الأخرى. كما لا يهتم بطبيعة الحال بماضي أتباعه قبل التحاقهم، إذ يعد هذا الماضي مرحلة جاهلية وردة تجب البيعة ما فيها من كبائر وسلوك مشين. ولعل القصة الشهيرة لأبوزيد الجزراوي (سعودي)، وهو أحد شرعيي داعش البارزين، واحدة من القصص التي لم تقطع فيها البيعة ارتباط الشرعي بماضيه. ظهر أبوزيد مع ستة أطفال فائزين بمسابقات داعش في إصدار «إلى أبناء يهود»، المنشور في الشهر الأخير من عام 2015، وكانت جائزة الأطفال هي أن يقتل كل منهم أسيراً. وبعد أيام ألقى القبض على الشرعي الجزراوي وهو يمارس اللواط بأحد الأطفال، حسب



أبوزيد الجزراوي

استراتيجية داعش الإعلامية:

مرحلة التمدد على حساب الجيش الحر

محمد سرحيل

لا بد أن تسبق أي معركة عسكرية تنوي جهة ما شنها ضد أخرى معركة إعلامية تبررها وتحشد لها وتمهد الطريق. وبالطبع يختلف الخطاب من جهة إلى أخرى تبعاً لأيديولوجيتها وعقلية مناصريها، بل حتى خصومها. داعش إحدى أبرز أدوات «الصراع» في سورية. وسنتناول في هذه الأسطر جانباً من استراتيجية ماكينتها الإعلامية عبر استعراض بعض القصص والأحداث التي سبقت وأعقب بعض معاركها في الشمال السوري.

الجيش الإلكتروني

يعتمد التنظيم على جيش من المناصرين الإلكترونيين، وهم ثروة هامة استطاع أن يديرها بحرفية عالية ويسخرها في خدمة مشروعه بشكل جيد. ولا شك في أن غرفة عمليات مركزية كانت تقوم على طبخ المادة الإعلامية -قبل إعلان «الخلافة»- وتشرف على دراسة أبعادها واحتمالاتها، وبالتالي التحكم في مخرجاتها وتجييرها لصالح التنظيم، يتولى بعدها فريق خاص نشر ونقل هذا المحتوى إلى الفضاء الإلكتروني بعد نضوجه!

حملات تشويه السمعة والكذب المنظم

في معركة «الدولة الإسلامية في العراق والشام» مع لواء عاصفة الشمال، أواخر 2013، استبق التنظيم هجومه على مدينة اعزاز بريف حلب، معقل اللواء، بحملة إعلامية ابتدأت بالتخوين والتكفير بذريعة زيارة السيناتور الأميركي جون ماكين لمعبر باب السلامة. وبعد اندلاع الاشتباكات وتمكن التنظيم بصعوبة من السيطرة على جبل برصايا، أحد أبرز مقرات العاصفة، استمرت ماكينته الإعلامية في التشويه، فقامت بنشر صور قتلى العاصفة بعد نشر السجائر حول جثثهم. ولكن الأسوأ من ذلك كان في إصدار رسمي له «مؤسسة الاعتصام» عرضت فيه تسجيلاً لأحد عناصر «الدولة» وهو يكسر زجاجات فارغة قال إنها استخرجت من أحد مقرات «مرتدي عاصفة الشمال»، إلا أن الحقيقة كانت مختلفة. فقد

استخرجت هذه الزجاجات من مزرعة التاجر المعروف عصام زيتوني، المتزوج من روسية مسيحية. وقد أقيمت العاصفة خلال مدة سيطرتها على جميع مقتنيات المزرعة، بما فيها صليب وتمثال لأحد أجداد العائلة، وطاولة «روليت» -تستخدم في لعب القمار- وزجاجات خمر فارغة معروضة في خزانة للزينة.

الهيئة الشرعية في اعزاز ردت حينها على التنظيم بأنها لم تمس هذه المقتنيات لأنها تتهم زيتوني بالتعامل مع النظام وتركتها كدليل ضده، بينما نفى أفراد من عائلة الزيتون التهمة لكنهم أثبتوا صحة الصور، ونشروا صوراً قديمة للخزانة وبجانها أحد أفراد العائلة، وتظهر فيها الزجاجات الفارغة ذاتها التي أقدم التنظيم على تكسيها في إصداره متهماً لواء عاصفة الشمال بتعاطي الخمر في مقراته!

وفي معركة تل رفعت استبق تنظيم الدولة عمله العسكري بحملة إعلامية شعواء، تمكن فيها من تحشيد مقاتليه وأنصاره عندما أشاع أن زوجات المهاجرين المنتسبين إليه تعرضن للاغتصاب من عناصر الجبهة الإسلامية، وبعد معركة شرسة أطلق عليها «الثار للضعيفات» تمكن من السيطرة على المدينة.

الدعاية كتحصيف تهديد بخلاف المتوقع... لا تهاجم داعش موقعاً أو جماعةً بناءً على مبررات دينية، بل تتخذ قراراً بالقتال تنفيذاً لأجندات وأهداف معينة، ثم تبحث عن العدو المناسب ومبررات قتاله. ولنا أن نتساءل، والأمثلة كثيرة جداً: لماذا لم يهاجم التنظيم شخصيات وفصائل أخرى التقت جون ماكين واستهدف تحديداً لواء عاصفة الشمال الذي يسيطر على معبر حدودي وكان يحتجز 11 لبنانياً عجز حزب الله عن إطلاق سراحهم بشتى الوسائل؟! وفي قضية تل رفعت أيضاً لماذا لم يهاجم التنظيم الجبهة الإسلامية المنتشرة على التراب السوري؟ بل على الأقل لماذا لم يهاجم مقراتها القريبة من مقراته في حلب على أقل تقدير؟

للإجابة عن هذا السؤال أطلقت في عام 2014 -مع بضعة أصدقاء- شائعة على الإنترنت بهدف مراقبة سلوك التنظيم وطبيعة تعاطيه إعلامياً مع هذا الحدث الشائعة، فكان التفاعل أسرع مما توقعنا، ووجد التنظيم في الخبر لقمة سائغة وسرعان ما أطلق منه «هاشتاغ» هاجم فيه خصمه المنافس له مؤخراً -جبهة النصرة- التي كانت بالأمس القريب شريكه داخل التنظيم الأم، وحينها بلغت المعارك أوجها بين التنظيميين في دير الزور.

وبعد مدة يسيرة عاودنا الكرة بشائعة مماثلة، ورغم أن ناسجها واحد ولا تختلف كثيراً عن سابقتها، إلا أن تعاطي التنظيم كان مختلفاً هذه المرة، إذ سرعان ما حوّل الشائعة من الجهة التي أطلقناها إلى عدو جديد اتهمه بها، فقد كان يعدّ العدة للسطو عليه!

اللحوم تغيب عن موائد السوريين

مريم أحمد

«والله يا أخي ما ضل شي اسمورخص. كلوعم يرتفع: المازوت، والحطب، والكاز، واللحم. آاه، اللحم من زمان نسيناه وما عاد نشوفه من العيد للعيد» بهذه الكلمات بدأت أم مصطفى حديثها الطويل عن تغيير عادات الطعام في أسرتها.

غلاء الأسعار زاد المعاناة

إرضاء التجار تسبب في ارتفاع الأسعار

السبب الأبرز لارتفاع أسعار اللحوم هو انخفاض الليرة السورية أمام الدولار. ومما أسهم في ارتفاع أسعار اللحوم خصوصاً سماح وزارة الاقتصاد في حكومة النظام بتصدير الأغنام والماعز إلى الدول المجاورة، بهدف إرضاء التجار والمتنفذين المساندين له في حربه ضد السوريين ليكونوا المستفيد الأكبر من فارق السعر. ناهيك عن ارتفاع أسعار مواد الإنتاج من علف ووقود، و«الأتاوات» التي ترفضها حواجز النظام على النقل، بالإضافة إلى انتشار تهريب المواشي إلى الدول المجاورة، وانعدام الرقابة في المناطق المحررة شمال سورية. أم علاء (48 عاماً)، من نازحي حلب إلى إدلب، تحدثت عن مشقة تأمين الطعام اليومي لأطفالها الستة: «ما عدت بملك شي بعدما حرقت كل شي منملكه بحلب وطلعنا بتيابنا. عم نعتد بمعيشتنا اللي بتوزعه المنظمات، وصار أكثر أكلنا معكرونة ورز وبرغل.. لمن يبشتهو الولاد اللحم بروح القصاب وبطلب منه العضام والشحمة وأنا خجلانة، وبتحجج أنها أكل للقطط حتى ما ينظر لي نظرة شفقة. بكرة كتير أنه حدا يتحنن علي وعلى ولادي».

لحوم لا يعرف مصدرها تغزو الأسواق

يستورد التجار في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام لحوماً لا تخضع للرقابة أو للفحص الصحي، ولا يلتزمون بطرق صحية للنقل والعرض. إذ يتم نقل اللحوم بشاحنات مكشوفة (قاطرات) تنتظر التفتيش على المعابر والحواجز لساعات طويلة وربما لأكثر من يوم، وهي عرضة للشمس خلال أيام الصيف، وتخزن في المستودعات لأيام أحياناً، قبل أن تنقل إلى محال البيع حيث تعرض على صناديق خشبية أو كرتونية، مكشوفة لأشعة الشمس وغبار السيارات، بالإضافة إلى الانقطاع المستمر للكهرباء التي يتم استجراؤها من محركات الديزل أو «الأمبيرات» غير المستقرة. كسار نصر الله (45 عاماً)، لحام من قلعة المضيق بريف حماة، قال: «قبل الأحداث كنت بديح كل يوم بين 6 و8 روس خراف، أما اليوم كل 4 أيام بديح راس واحد. أغلب الناس ما عادت تقدر تشتري لحمة مزبوطة وصارت تعتمد المجدد والمستورد بسبب الفرق الكبير بالسعر».

وصل سعر كيلو اللحم إلى ما بين 6 و10 دولارات، أي ما يشكل 15 في المئة من راتب الموظف الحكومي؛ ما اضطر الكثيرين إلى اللجوء إلى خيارات بديلة كاللحوم الثلجة المستوردة، مجهولة المصدر وسيئة النوع وكريهة الرائحة، والمعلب منها (المرتديلا). أجبر الغلاء الناس على تغيير تقاليد الطعام التي تعارفوا عليها، وأسهم في اندثار الكثير من العادات الاجتماعية، كمآدب الأعراس والوفيات والولائم الجماعية التي كانت تقام في الأرياف والمدن في المناسبات الشخصية والعامة. أم مصطفى (52 سنة)، من ريف جسر الشغور، اعتادت على اجتماع الأبناء والبنات كل يوم جمعة في منزلها، وكان هذا اليوم يعد يوم الطعام بمختلف أنواعه. أما الآن فتقول: «كل شيء تغير. ما عاد نجتمع مثل قبل، وما عاد أطبخ مثل قبل. وبدلنا اللحوم السورية الحمرة بلحوم متلجة طعمتها غريبة. من كم يوم عملت محشي بمرتديلا، ومنيح بمرتديلا لأنه بالعادة عم نعمله بزيت. قبل كان بيتنا عامر بالضيوف، ما بيمر أسبوع بدون ما نعمل عزيمة كبيرة. وهلق هالشي صار مستحيل».

عادات اجتماعية تغيرت

اعتاد السوريين بشكل عام، وأهالي الأرياف خصوصاً، على اجتماع أهل القرية في المناسبات، ولا سيما في الأعراس والمآتم التي لا تمر إلا وتطبخ فيها «المناسف». أما الآن فقد اختفت هذه العادات بسبب غلاء اللحوم وحالة الحرب، ومن يصر على أن يحافظ عليها استبدل بلحم الخراف لحم الدجاج المجدد والمستورد، بكميات قليلة جداً، مع تضييق دائرة المدعوين. محمود الصطوف (62 عاماً)، من المعلقة بريف إدلب، قال: «كل شيء تغير. كنت في العام الواحد بديح ع القليلة 15 خروف بعدة مناسبات. برّبي غنم بس حتى ما اشتري لحمة من السوق. كل ما يجينا صديق بديح. حتى لمن نندعي لعرس أو نروح على عزا كنا ناخذ معنا خروف. أما اليوم ما عاد نروح على تعازي، رغم كثرة التعازي، ولا عاد نندعي لأعراس، ولا عاد نديح. حتى الغنم بعناه حتى يسهل علينا النزوح. ولن يجينا ضيف صرنا نشترى من هذا الفروج المجدد يللي ريحته ما بتنطق».



الثورة والثوار في أورفا

مجيد السعد

يبدو عموم اللاجئين السوريين في ولاية

أورفا التركية غير مكترئين كثيراً لدخول الثورة

عامها السابع، رغم أن فاعلين فيها ما زالوا مصرين على

العمل لإسقاط النظام، كهدف يتفقون عليه، ويختلفون على باقي

الأمر التي تسبق ذلك، أو ترافقه، أو تأتي بعده.

اعتصام في أورفا تنديداً بجرائم النظام في دوما عام 2015

يتدفق السوريون في شوارع أورفا وحواريها ومحلاتها وورشها ومعاملها، دون صعوبات كبيرة سوى الحنين إلى بلدهم، رغم أن القرب الجغرافي منه يخفف من ذلك الشعور الذي يعيش تحت وطأته آخرون تابعوا باتجاه الشمال والغرب. عدا عن أن التركيبة الاجتماعية لسكان الولاية مشابهة لتركيبتهم، واللغة العربية - أو بقاياها - التي يجيدها الأورفليّة، التي اضطهرهم السوريون إلى نبشها من الماضي لتيسير التعامل معهم. ولأن للمجال العام في تركيا هيئته الخاصة فقد اقتطع السوريون على هامشه مجالاً لفضاءاتهم العامّة، تمثل في المقاهي والكافيتريات والفنادق الشبابية والبيوت شبه المخصصة لاجتماعات الأقارب وصلات المنظمات والهيئات...

يعبر المهتمون بالشأن العام في هذه الأماكن عن انتمائهم إلى الثورة باستعادة ذكرياتها ولحظاتها العصبية والتغني بحوادثها والحنين إلى ما يروونه صفاء الثوار الأول، في زمن التظاهر السلمي والملاحقات الأمنية التي يستذكرون الآن الجوانب المضحكة منها، وحصار مدينة دير الزور، أو السيطرة على الرقة وإدارتها ذاتياً، أو مغامرات الفصائل المتفرقة في الحسكة. وتجمع المهتمين محاولاتهم وضع اليد على الخلل الذي أتى بهم إلى هنا، وبحثهم المستمر عن طريقة لجمع صفوفهم استعداداً لملء الفراغ الذي سيتركه الانهيار الوشيك لتنظيم الدولة الإسلامية. على أن ذلك البحث عادة ما ينتهي بعمل إنساني أو إغاثي، يتراوح بين توزيع المساعدات

والتوثيق وتعليم المهن واللغة التركية لفئات لم تكن مستهدفة من قبل، كما يفترض القائمون على تلك الأعمال، (أو أنها كانت تشعر بالغبن لأنها خارج دائرة الفعل الثوري؟). وتجد تلك الأعمال قيمتها، عند الأكثر خبرة في العمل السياسي، من نتائجها المرجوة في استعادة الحاضنة الشعبية، وتجسيد أهداف الثورة بالعمل المؤسسي، وإبقاء الأهالي على صلة بالشأن العام، والتجهيز للعودة إلى سوريا. تعمل في أورفا رسمياً، كما تقول إحصاءات، 60 منظمة ومدرسة ومركزاً طبيّاً خاصاً بالسوريين، لكن حديث الشارع يصل بالعدد إلى 100 منظمة، وتشمل التسمية كل كيان مدني أو أهلي يعمل في الشأن العام. وتتلقى هذه المنظمات بشكل دائم تهماً بالفساد المالي والأخلاقي والمحسوبية والعمالة لقوى إقليمية ودولية والتشبيح لشخصيات معينة، ولذلك تروج بين الفئات الثورية مصطلحات، كالتسوية والتشويش وموالة النظام سراً، في سياق الرد على تلك التهم، أو حتى الاستئثار بالثورة كأرضية للفعل يقف عليها الكثيرون.

لا يرى قسم كبير من الأهالي في عمل الثوار خارج أراضيهم أي فعل ثوري، إذ إن الثورة في الداخل، واستعادة الأرض هدف أساسي لها، كما يعتقدون. أما العمل الإنساني والإغاثي فهو منفصل عن الثورة، بدليل أنه موجود في مناطق النظام كذلك. ويشكل العالم الافتراضي، متمثلاً في الفيسبوك، ساحةً مفتوحة

للحديث عن تلك الأشياء، بعد أن أصبح وجدانا عاماً يتقاسم فيه الجميع التعاطف، ولكن كذلك الاقتتال والاستعداد، وحيث تستعمل الحسابات الوهمية للنيل من بعض الشخصيات والكيانات. وبسبب العلاقات الاجتماعية المتشابكة للسوريين، التي حافظت على نفسها في أورفا، تتوصل الشخصيات العامة عادة، أو المقربون منها، إلى معرفة أصحاب الحسابات الوهمية، ما أدى إلى مشاجرات استعملت فيها أسلحة بيضاء ونارية. حتى أن بعض العاملين في المجال الإعلامي يبدي استعداداً لتناول أي جهة بالنقد شرط أن تكون بعيدة عن أورفا، التي تكوّن فيها مع الزمن قانون غير مرئي في ما يخص عمل الثوار، يتلخص في إمكانية إطلاق التهم، مهما كانت فداحتها، لكن دون توجيهها إلى أحد بعينه. تجاوز عدد السوريين في أورفا 400 ألف شخص، بحسب ما أعلنت مديرية الهجرة التابعة لوزارة الخارجية التركية، يشكل أبناء المنطقة الشرقية في سوريا غالبيتهم. بينما يقدر عاملون في الشأن العام العدد بـ 600 ألف، في ظل وجود الكثيرين خارج إحصاءات المديرية لعدم حصولهم على الكيمك. ورغم تبرم مستمر يبيديه سوريون مما يروونه «غباء» أو «استغلالاً» تركيا، أو تدخلاً في الشؤون الداخلية الخاصة ببلدهم، إلا أن الولاية لم تسجل أحداث صدام كبيرة بين السوريين والأتراك، حتى الآن، رغم أنها تحوي العدد الأكبر من السوريين بين الولايات التركية.

نباهة أمين الفرع أو البعث أولى بكم

د. أنس فتیح

بعد أن تم وأد مؤامرة ربيع دمشق في أواخر عام 2001 من قبل القائد الشاب الواعد بشار الأسد، واعتبار المجتمع المدني استعماراً جديداً وفق تصريحات رسمية للسيد عدنان عمران وزير الإعلام حينها؛ حاول النظام التأكيد على أن مسيرة الإصلاح مستمرة رغم ذلك. ومن أجدر بهذه المهمة، بعد أن ازدادت أعباء الدكتور، من زوجته المصون، البريطانية الجميلة أسماء الأسد.

على الفور باشرت السيدة الأولى بحملة تروج فيها للتحديث والتطوير، فمرة توجه بالاستغناء عن اللباس العسكري لطلبة الثانوية، لتزيل بذلك العنق من ثياب وقلوب الياقنين، ومرة تدعم دور الشباب فتناصر مجلة «شبابك» التي كان رئيس تحريرها، الناشط المثقف الأكابري إياد شرجي، على قدر المسؤولية المناطة به فلم يضيع أدنى نشاط للسيدة الأولى دون أن يغطيه، حتى لو كان حضورها عرس صديقة، ومرة تعمل على تغيير قانون الأحوال الشخصية بأخر يعطي حقوقاً أوسع للمرأة، فيتصدى لها الشيخ الدماغ الذي لا يخاف في الحق لومة لائم، العالم الرباني الفيلسوف الداعية محمد سعيد رمضان البوطي قدس الله سره، فيحفظ بصموده بيضة الدين ويصون أعراض المسلمين.

إلا أن ذلك الواقع المتخلف لم يثبط عزيمة إيما ونزعها التحريرية، فأطلقت عدداً من الجمعيات الأهلية (لاحظوا أهلية وليس مدنية، فالأولى وطنية والثانية استعمارية). فصدحت أنغام جمعية «مسار»، وتألقت هالة جمعية «المورد»، وأشرقت جمعية «بسمت» كشمس الظهيرة. ولم تمض أعوام قلائل إلا وأثمرت الجهود المضنية للسيدة الإنسانية، فأصبحت أيقونة في عالم التطوع، تباري الليدي ديانا شهرةً وتفوق الأم تيريزا إحساساً وحنواً. فهي، بحسب شهادة رئيسة جمعية نسوية في دير الزور آنذاك، راقية ومتواضعة في أن واحد، وأكبر دليل تذكره رئيسة الجمعية على ذلك أن السيدة الأولى شربت كأس ماء تناولته من الطاولات مباشرة، بل زادت على ذلك فازدردت رشفة من الشاي مع عضوات الجمعية حتى بان حنجرتها من خلف رقعة جلد عنقها المشوق.

في تلك الأجواء المبشرة، وفي سحابة صيف 2005، عازمت مجموعة من شباب وشابات دير الزور على إنشاء جمعية شبابية، مستفيدين من حالة الانفتاح التي تعيشها البلاد ومن الدعم اللامتناهي المقدم من القيادة الحكيمة ممثلة في شخص السيدة الأولى. وبالفعل، لم تكد تمضي سنة ونصف السنة بعد الاجتماع

أمة عربية واحدة

ذات رسالة خالدة

التصميم من صفحة "دولتي" على الفيسبوك

التأسيسي للجمعية، قامت فيها الجهات الأمنية بستة أو سبعة مسوحات واستدعاءات للأعضاء المؤسسين، حتى هلت الموافقات سريعاً من الجهات الحامية للبلاد، والتي لولاها لما كان لأخت القبضاني أن تعود في الساعة الثالثة ليلاً آمنة غانمة. ولم يبق للإعلان الرسمي عن الجمعية إلا بضع موافقات من جهات مدنية (فرع حزب البعث العربي الاشتراكي؛ المحافظة؛ وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل). وهنا تحدث المفاجأة فترفض الجمعية من قبل فرع الحزب، مع أن موافقته روتينية في العادة بعد موافقة الأمن. ونتيجة الطبيعة الاجتماعية والعلاقات العائلية المتشابكة لسكان مدينة دير الزور تمكن مؤسسو الجمعية، في أواخر عام 2007، من ترتيب موعد مع أمين فرع الحزب، والذي تفضل، رغم مشاغله الكثيرة، بقبول اللقاء بهم (كمثال على حجم مشاغل من يتقلدون هذا المنصب، أربعة شواالات من التقارير لم تقرأ بعد وجدها الجيش الحر في مبنى الحزب بعد معركة تحرير الحويقة). وبعد أن أهل الأمين وسهل بزواره، استهل الكلام بصوت جهوري قائلاً: «رفاق.. رفيقات، تسعدني روح المبادرة لديكم. لقد اطلعت على ملفاتكم ووجدت أنكم جميعاً من الرفاق البعثيين (وكان هناك شاب سوري ليس منتسباً إلى الحزب)، وأرى أن البعث أولى بكم من أي تشكيل آخر. ورغم أنكم نصراء فحسب إلا أنه بمقدوركم أن تمارسوا أي نشاط ترغبون فيه من خلال الحزب ومنظّماته الرديفة. وأعدكم شخصياً في حال وافقتم- أن تجدوا كل التسهيلات اللازمة لعملكم».

في أواخر عام 2012 كان قد استشهد شمس الدير-محمد العسكر- أمين سر جمعية «شباب الفرات» الممنوعة- بعد أن صار عضو اتحاد تنسيقيات الثورة- خلال هجوم شنه الحرس الجمهوري على مدينة دير الزور، واستشهد الدكتور أحمد الفتیح، أحد مؤسسي الجمعية- بعد أن صار عضو اتحاد الأطباء الأحرار- إثر قصف استهدف طريق المشفى الميداني في معضمية الشام.

وفي أواخر 2015 تم انتخاب السيد رياض حجاب-الأمين السابق لفرع الحزب في دير الزور وصاحب الوعد أعلاه- رئيساً للهيئة العليا للمفاوضات التابعة للمعارضة السورية.

مشاهد من وراء القضبان

أبو محمد الإدلبي

إلى الذين رحلوا... عبد الله الأقرع وهيثم الخوجة وخليل رشيد وعبد الله قبارة وجرجس وجمال كالو وعمر فوزي وحسين العلي وتاج الدين ريشي وفؤاد ماردلي ورمضان الحسين ومحمد حجار... ذكرى الأيام الحزينة. وإلى الذين يقبعون في معتقلات التعذيب الهمجية... كي لا ننساهم!!!

مسيحي؟! كيف تقف مع عملاء السعودية وقطر وأنت يساري؟! أنت سرياني وطائفتك متحضرة فكيف تقف مع الإخوان المسلمين ضد البلد وضد صمودنا؟! ثم كيف تقول إنك لا تحب سيادة الرئيس؟! هل يوجد في العالم كله رئيس يشبهه؟ إنه دائم الابتسام، عالي الثقافة، وأفضل دكتور في العالم، عدا عن أنه ابن الرئيس الخالد، كيف؟!»

أراد إبراهيم أن يقول: «أنتم جميعاً راع منحطون وقطاع طرق تتوجكم السفالته. لعن الله سلالتمكم القدرة منذ نشوئها إلى يوم بيعتونها!» لكنه خاف، خاف كثيراً... فلم يأت بجواب. كان في داخله حزن عميق وهو يقول لنفسه: «هؤلاء من يحكمنا منذ خمسين عاماً»، فكوا قيده وأخلوا سبيله. ذهب إلى المنزل منهكاً. رتب أغراضه. وبعد أيام غادر «حضن الوطن».

❖ ❖ ❖

أبو عادل رجل خمسيني متزن وخلق. نجار بسيط لا يتدخل في السياسة. محب لأولاده ويقدم لهم كل سبل النجاح. ذات ظهيرة أحد أيام الجمع ذهب إلى مسجد الحي المجاور للصلاة. كان قد سمع أن مظاهرة ستنتقل من هناك. وصل إلى المسجد فرأى الشبيحة ورجال المخابرات يحومون حوله وهم يحملون العصي والسكاكين. دخل وصلى مع الناس. عند انتهاء الصلاة وقف شاب وصاح بأعلى صوته «تكبير» فردد العشرات بحماس «الله أكبر». خرج الجميع وهم يهتفون. ركض أزالام النظام نحو المتظاهرين وبدأوا يضربونهم ويطلقون النار بشكل عشوائي وهم يصرخون: «الله، سوريا، بشار وبس». وقف أبو عادل على الرصيف المقابل يشاهد المظاهرة بزهو. في ذلك اليوم سقط أربعة شهداء والعديد من الجرحى وعشرات المعتقلين الذين كان أبو عادل أحدهم. يومان في الفرع وأبو عادل تحت التعذيب. يريدون منه أن يعترف بعلاقته مع المتظاهرين وهو ينكر أي علاقة. توسل إليهم بكل أسماء الله الحسنى والأنبياء والصحابية، وباسم رئيسهم... لكن عبثاً! فجأة خرجت من فمه كلمات لا يعرف كيف نطقها: «كرمي للإمام علي»، فتوقف الضرب وكان تياراً كهربائياً مسهم!! وفي اليوم التالي أفرجوا عنه.

ذات مساء صيفي، وكان الهواء يدخل من نوافذ المعتقل، شرد الشاب معتز بذكرياته إلى مدينته الجميلة، إلى الحدائق والمساعات التي كان يجلس فيها على شرفة بيته والمدينة كلها أمامه، إلى الأيام التي كان يجوب فيها الشوارع تحت المطر، إلى أيام لعب الكرة مع أصدقائه. غطى وجهه بالبطانية وبكى. ظلت الذكريات تعانقه طويلاً حتى غلبه النعاس فنام.

وفي أحد أيام الشتاء جاء السجناءون مدججين بالعصي والهراتوطلبوا منه أن يخلع ثيابه، ففعل. ظل بثيابه الداخلية. أدخلوه تحت الدش البارد والكبال المجدولة تنهش جسده. كان يصرخ من الألم والبرد، ومع صراخه كانت وحشية الجلادين تزداد وشتائمهم تتعالى وتتنوع: «لا يعجبك بشار الأسد أيها الحقير؟! تريده أن يرحل؟! تريد محاربة الطائفية أيها الوهابي؟! تريد إخراج الإيرانيين من سوريا؟! ومن تريد أن يأتي بدلاً منهم؟ آل سعود أم أمير قطر؟! هل إيران هي التي تحتلنا أم إسرائيل يا ابن العاهرة؟! كم تدفع لك أمريكا وإسرائيل والسعودية؟». كان الشاب قد فارق الحياة وهم غير منتبهين، مستمرين في ساديتهم. عندما تعبوا أخيراً توقفوا. كان غارقاً بدمائه. أعلنت الطيور والحدائق والأمطار والشوارع وأصوات المتظاهرين أن معتز لم يعد يضح بالحياة. كل سنواته الدراسية، كل ثقافته البسيطة التي اكتسبها من نشاطه السياسي العفوي والحماسي، كل هذا ذهب تحت أقدام همج وبرابرة حدود ثقافتهم سماع علي الديك.

❖ ❖ ❖

ذات صباح من صباحات حلب الحزينة كان المحامي إبراهيم ذاهباً إلى مكتبه. وصل إلى مدخل المبنى وإذ بأربعة من رجال المخابرات اقتادوه إلى الفرع، وهناك انهالوا عليه باللكمات والشتائم. بعد ساعات أخذوه إلى رئيس الفرع مقيداً. قال أحد العناصر لرئيسه: «سيدي، إنه لا يحب الرئيس!! هل تصدق!!». ثم انهال عليه يعضه في كتفه ويديه وهو يصرخ مسعوراً: «ألا تحب بشار الأسد؟! وهل يوجد في الدنيا كلها من لا يحب بشار الأسد؟! ولك أمريكا تريد بشار الأسد رئيساً لها، وروسيا وبريطانيا وفرنسا... والعالم كله!». طلب رئيس الفرع من العنصر أن يتوقف ثم سأل المحامي: «كيف تقف مع المجموعات الوهابية وأنت



بين مصر وألمانيا سوريون تائهون في معاملات لم تشمل

مصطفى أبو شمس

HuffPost

لم تكن رحلة الوصول إلى أوروبا نهاية مآسي اللاجئين السوريين، بل ربما كانت البداية بالنسبة إلى بعضهم الذين ما زالوا في انتظار لمّ شملهم بأسرهم الذي اصطدم بالكثير من العوائق التي تتمثل في تباين القوانين التي تخص اللاجئين من دولة إلى أخرى، ومن مقاطعة إلى شقيقتها، بالإضافة إلى الجهل باللغة وسوء الترجمة، مروراً بالبيروقراطية وتأخر الإجراءات والتكلفة المادية الثقيلة التي لا يستطيع الكثير من اللاجئين تحملها.

إن كان يوجد جواز سفر سوري مع زوجته، وطلبت منه إرسال الرد عبر الإيميل. ليفاجأ بعد شهرين باتصال الموظفة مرة أخرى للسؤال عن الأمر نفسه، وحين أجابها أنه أرسل الرد بالإيميل كما طلبت اكتفت بالبحث على الإيميل لدقائق وإخباره: «إي تمام».

منذ أيام طلبوا من الزوجة عقد استئجار منزل في ألمانيا، وما ثبت أنها قد تقدمت لدراسة اللغة، وعقد عمل للموافقة على طلب زوجها، رغم أن هذه الشروط مطلوبة من طالبي الكفالة لا لمّ الشمل. تنهي منى كلامها: «لو بعرف هيك ما كنت إيجت ألمانيا. كل هالقتال بشأن حق من حقوقي بتكفله القوانين الألمانية».

فيزا بالغلط!

في إحدى المقاطعات التابعة لشمال الراين تقطن السيدة سعاد، القادمة مع ابنتيها إلى ألمانيا منذ سنتين، في حين بقي زوجها وثلاثته من أولادها في مصر. وبعد أن قدمت طلب لمّ الشمل وتمت الموافقة عليه أعطيت الفيزا لزوجها وأولادها. دفعت المرأة التأمين البالغ 560 جنيه عن الشخص الكبير (فوق 18 سنة) و280 جنيه عن الصغير، واشترت بطاقات الطائرة (4900 جنيه للشخص)؛ ولكن السفارة الألمانية، وقبل أربعة أيام فقط من موعد السفر، أبلغتهم بإلغاء الفيزا بحجة أنها أعطيت بالخطأ، لتخسر المرأة بذلك رؤية زوجها وأولادها

السفارة التي قابلت زوجها لم ترسل أي رد بخصوص المعاملة منذ سنة تقريباً، وما زالت منى تبحث عن الأسباب. «الموظفون في منطقة بريمن التي أسكن فيها متعاونون ورأوا أن لا أسباب للرفض، ولكن السفارة سلطة عليا وعلينا أن نطيع القرارات وننتظر»، كما تقول منى. يعرفون في السفارة أن باستطاعتي في حال الرفض أن أرفع دعوى قضائية ضدهم، وفي الغالب سأكسبها، ولذلك لم يصل إلي الآن أي رد مكتوب. كل ما قالوه كان شفهيًا ويتلخص في أن زوجي «في مكان آمن ويعيش في ظروف جيدة ولا يمكن إعطاؤه حق اللجوء بناء على ذلك»، على الرغم من أن القانون في ألمانيا يقول إن «لمّ الشمل يكون بناء على احتياج الشخص الموجود في ألمانيا وليس العكس». فادي، زوج منى، قال لـ«عين المدينة» إنه احتاج إلى شهرين ليتمكن من حجز موعد في السفارة ليقدّم الأوراق المطلوبة ويدفع الرسوم البالغة 60 يورو، فضلاً عن تجهيز الأوراق وتصديق عقد الزواج وترجمتها التي كلفت ما يقارب 600 جنيه مصري لتجري المقابلة: «اكتفوا ببضعة أسئلة وقالوا إنهم سيبلغوني النتيجة على الإيميل». انتظر الزوج شهرين ولكن الرد لم يأت فأرسل إيميلًا للسفارة للاستفسار فجاء الرد مختصراً يكرر أنهم من سيبلغه بالنتيجة، طالبين عدم الاستفسار ثانية. بعد شهر اتصلت إحدى العاملات في السفارة به لسؤاله عن بعض المعلومات التي كان أهمها

قدرت الأمم المتحدة، في تقريرها الصادر في بداية الشهر الحالي، عدد اللاجئين السوريين بـ4.9 مليون. وتعد ألمانيا أكثر الدول الأوروبية استقبالا لهم، إذ يقدر عددهم فيها بأكثر من 800 ألف. وهذا العدد مرشح للزيادة نتيجة الهجرة المستمرة وطلبات لمّ شمل المتراكمة في السفارات الألمانية في معظم البلدان التي يوجد فيها سوريون. وربما كانت السفارة الألمانية في القاهرة هي الأكثر تعقيداً في النظر إلى طلبات لمّ الشمل بحسب معظم الذين تواصلنا معهم في مصر التي تضم 131 ألف سوري بحسب إحصائيات مكتب الهجرة واللاجئين هناك.

من حقنا أن نكون مع عائلاتنا

منى (30 عاماً) واحدة من اللاجئات السوريات اللواتي تحملن عبء الرحلة إلى ألمانيا عبر تركيا، قادمة من مصر التي لجأت إليها منذ عام 2013 مع زوجها، لتصل إلى ألمانيا منذ سنة ونصف. بدت السيدة منى حزينة وهي تتحدث عن قصتها مع لمّ الشمل بعد أن تركت زوجها في مصر لتخاطر هي بالرحلة البحرية، ظناً منهما أن الطلب سيكون أسهل في حال كانت مقدمته أنثى. ولكن الذي حدث أنه بعد وصولها إلى ألمانيا وحصولها على الإقامة الصالحة لمدة 3 سنوات، التي تؤهلها لطلب الشمل؛ بدأت المعاناة مع السفارة الألمانية في القاهرة بعد استكمال جميع الأوراق المطلوبة وحجز موعد لزوجها.

بفلاتس: «أخي بصراحة، معظم المترجمين هنا هم من الشيعة العراقيين أو اللبنانيين، وهم غير متعاطفين مع اللاجئين السوري على وجه العموم، لأسباب طائفية. وربما اقتطعوا من شهادته أمام المحكمة ما يتعلق بسبب لجوئه أصلاً، من حرب النظام على هذه المنطقة أو تلك وتعرضه للخطر. وهناك مترجمون آخرون من الأكراد العراقيين الذين يظهرهم مشاعر عداة قومي للعرب أو تدمراً من اللاجئين السوريين على الأقل. أحياناً يتغير نوع الإقامة التي تحصل عليها نتيجة هذا النقص في الترجمة، وغالباً ما يفقد اللاجئ حقه في الكثير من الأمور التي هناك مدة للاعتراض عليها نتيجة إهمال المترجم إبلاغه بذلك بقصد أو دون قصد». ويبيّن أحمد أن تكلفة توكيل المحامي باهظة في ألمانيا، إذ تصل في أغلب الأحيان إلى أكثر من 1800 يورو، ومعظم اللاجئين لا يملكون هذا المبلغ.

وعن هذا الأمر تقول ندى سليم إن الكثير من المحامين العرب يقبلون بتبسيط تكلفة الدعوى بشكل شهري، وذلك لعلمهم بمعاونة اللاجئ، وأنه في حال ربح الدعوى ستتقبل المحكمة بكامل الأتعاب ويعاد المبلغ المدفوع إلى اللاجئ من قبل المحامي. وعن سبب رفض بعض طلبات لم الشمل تقول المحامية: «لا توجد قوانين ثابتة في ألمانيا بخصوص لم الشمل. وتقع دراسة الملفات على عاتق السفارة التي تمثل السلطة الأعلى في هذا الشأن. في بعض الحالات، حين يكون الرفض نتيجة خطأ موظف أو خطأ في بعض الأوراق، نرفع دعوى لتصحيح الأمر».

أما عدنان، الذي كان في السادسة عشرة حين وصل مع عمه إلى ألمانيا، فيقول إن المحكمة لم تعطه الإقامة (سواء الحماية أو الدائمة) حتى تجاوز الثامنة عشرة بشهر. ويوضح: «في كل مرة كنت أراجع فيها مكتب شؤون اللاجئين كانوا يردون عليّ أن الأمر ما زال في القضاء وأن علي الانتظار، حتى فقدت حقي في طلب عائلتي بعد سنتين من الانتظار».

قوانين متباينة ومترجمون متعصبون

تختلف القوانين المتعلقة باللاجئين السوريين من مقاطعة إلى أخرى. إذ تقول ندى سليم، وهي محامية من أصول لبنانية في فرانكفورت، إن بعض المقاطعات «قررت أن ينال جميع اللاجئين بين عمر 20 و42 سنة حق الإقامة لمدة 3 سنوات، ما يؤهلهم لطلب لم شمل عائلاتهم، بينما قررت مقاطعات أخرى أن هذا الأمر يتعلق بكل ملف على حدة، وأن هذا الحق يُمنح فقط للمستهدفين بشكل شخصي بالخطر، شرط إثبات ذلك بالأوراق. وهذا الأمر شبه مستحيل، فكيف يستطيع شخص مطلوب من قوات دولة ما أن يأتي بورقة تثبت أنه مطلوب؟ وفي حال عدم الإثبات تعطيه المحكمة حق الحماية، وهي الإقامة لمدة سنة قابلة للتجديد، ولا يحق له بموجبها لم الشمل». وعند الحصول على الحماية لمدة سنة يحق للاجئ أن يطعن في الحكم خلال 15 يوماً من صدوره، ولكن الكثير من اللاجئين لا يعرفون ذلك بسبب جهلهم باللغة والمترجمين الذين يتحرك بعضهم لأسباب أخرى...

إذ يقول المهندس أحمد عبد الرحمن، الذي يسكن في ولاية راينلاند

والمبالغ التي دفعتها.

كان هذا قبل تسعة أشهر. ومنذ ذلك الوقت والسيدة سعاد تحاول معرفة سبب هذا الخطأ وعلى من تقع المسؤولية ولكن دون جدوى، ما دفعها إلى رفع دعوى قضائية على السفارة الألمانية في القاهرة: «يتقاضى المحامي 200 يورو لقاء كل إيميل يرسله، عدا التوكيل الذي دفعته، وهو 80 يورو عن كل شخص».

تعقيد معاملات القصر

قالت السيدة حنان، التي سافر أولادها مطلع عام 2015 واستقروا في مدينة فرانكفورت، إن ولدها علي (17 عاماً) تقدم بطلب لم الشمل لها ولزوجها ولطفلهما الصغير محمد، بعد أن حصل على الإقامة الدائمة. كانت الأمور سلسة، وجرت المقابلة بشكل جيد، واستكملت العائلة جميع الأوراق المطلوبة، لتأتي الموافقة على لم شمل الأب والأم ورفض الطفل محمد ذي السنين الخمس.

وقتها كانت خمسة أيام تفصل علي عن إتمام الثامنة عشرة، وهو ما يلغي حقه في طلب لم شمله مع أبويه، فلم يكن أمام العائلة خيار إلا ترك الصغير محمد عند إحدى العائلات السورية والسفر إلى ألمانيا والمتابعة من هناك، حيث يحق للأب لم شمل ابنها القاصر.

في ألمانيا، وبعد ستة أشهر، حصلت السيدة حنان على إقامة حماية لسنة واحدة، مما لا يؤهلها لطلب لم الشمل، ليبقى الطفل محمد في مصر بعيداً عن عائلته حتى اللحظة، وما زالت الأم تحاول الطعن في قرار المحكمة.



السفارة الألمانية في القاهرة



اللاجئون السوريون في روسيا

د. علي حافظ

نتيجة الحرب التي شنها نظام الأسد أولاً، ثم داعش وأخواتها ثانياً، ضد السوريين؛ نزح الملايين من أبناء هذا الشعب المسكين إلى مختلف بقاع الأرض، حتى وصلوا إلى بلاد لا يصدق أحد أنهم سيقفون فيها ردحا طويلاً من الزمن كي يضطروا إلى طلب اللجوء على أراضيها.

GETTY

الشخص تأشيرة روسية فإن وجوده هناك غير قانوني؛ ويمكن لأي شرطي أن يعتقله على خلفية مخالفته للقوانين، ويرسله إلى المحكمة حيث يتخذ القاضي قراراً في غضون دقائق حول انتهاكه للمادة 18.8 من القانون الإداري؛ التي تحكم على اللاجئ بدفع غرامة مالية مع وجوب الطرد من روسيا. وببساطة قد يستولي رجال الشرطة على ما يجده لديه أثناء التفتيش من محتويات حقائبه أو المال في جيوبه. وعادة ما يترافق قرار الطرد مع وضع الشخص في مركز احتجاز مؤقت خاص بالرعايا الأجانب، وهو أقرب إلى السجن، قد يبقى الشخص فيه قرابة عامين أو أكثر!

تقول إيلينا بورتينا، من «لجنة موسكو للمساعدات المدنية»: «صادقت روسيا على اتفاقية اللاجئين وتعهدت باستقبالهم. ليست هناك حاجة إلى التوقيع إذا كانت لا تريد. لم يجبرها أحد على ذلك». ووفقاً لها أيضاً، خفضت السلطات الروسية إمكان تمديد فترة توفير المأوى المجاني للاجئين، وبسبب ذلك قرر الكثيرون مغادرة البلاد. فحتى أواخر 2016 غادر 5500 لاجئ روسيا، خصوصاً من السوريين، منتقلين إلى النرويج عبر منطقة مورمانسك الحدودية، إضافة إلى توجه نحو 500 آخرين في الطريق نفسه إلى فنلندا.

هذا غيض من فيض مما يعانيه السوريون في روسيا الداعم الرئيس للأسد عسكرياً وسياسياً، وكأنه كتب عليهم الخوف والعذاب وعدم الاستقرار والأمان إن في وطنهم أو في بلاد النزوح والمهجر.

فهم يحصلون على إقامة لمدة عام فقط، غير قابلة للتديد.

وعلى الرغم من قلّة عدد السوريين في روسيا، وتوصيات المفوضية العليا لحقوق الإنسان بعدم فرض إعادة القسرية، إلا أن سلطات الهجرة الروسية غالباً ما تستمر في حرمانهم من اللجوء، وطردهم إلى تركيا، أو محاولة إرسالهم إلى دمشق.

ذكرت إحدى العائلات السورية لمراسل «صوت أميركا» (14 تشرين الأول 2015) أنها بقيت في منطقة الترانزيت بمطار موسكو مدة طويلة، على رغم أن أفرادها قد تقدموا بطلبات للحصول على اللجوء. وكذلك تحدث السوري حسن عبدو أحمد وزوجته جولستان شاهو وأطفالهما الأربعة، للمصدر نفسه، أنهم عاشوا في منطقة الترانزيت في المطار بعد أن اتهمت السلطات الروسية بأنهم يحملون جوازات سفر مزورة، مما تسبب في مصادرة وثائقهم وتهديدتهم بالاعتقال إذا خرجوا من المطار. وذكرت شاهو أنهم قالوا لهم: «هذه ليست أوروبا بالنسبة لكم، لن نقبلكم كلاجئين!».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تقديم طلب الحصول على حق اللجوء في روسيا دون مساعدة أحد المحامين أو المنظمات غير الحكومية العاملة في هذا المجال يكاد يكون أمراً مستحيلاً.

قد تنتهي زيارة طالب اللجوء إلى دائرة الهجرة بطرق مختلفة. وفي أحسن الأحوال سيتم تعيين موعد المقابلة التي ينبغي انتظارها لمدة شهر أو اثنين أحياناً. وفي أحيان أخرى عدة أشهر. أما إذا لم تكن لدى

روسيا هي إحدى تلك الدول التي طلب فيها العديد من السوريين اللجوء. ورغم أن أعدادهم لا تقارن بأعدادهم في الدول الأخرى إلا أن معاناتهم وألمهم ومشاكلهم لا توصف. فطلبات اللجوء تُرفض باستمرار من قبل وكالات الهجرة التابعة لوزارة الداخلية الروسية التي توصيهم دائماً بالعودة إلى بلادهم؛ مبررة ذلك بأنه لا يوجد خطر معين على حياتهم في سورية، استناداً إلى أحكام وزارتي الخارجية والدفاع الروسيين!

وحسب تقرير أعدته رئيسة لجنة «المساعدة المدنية»، سفيتلانا غانوشكينا، والمحلل كونستانتين تروتسكي، في نهاية عام 2016، بلغ عدد المواطنين السوريين على أراضي روسيا 7096، حسب بيانات دائرة الهجرة الاتحادية. وسجل هذا الإحصاء انخفاضاً ملحوظاً مقارنة مع العام الذي سبقه، عندما وصل العدد إلى 8205 أشخاص. يمكن تقسيم هؤلاء السوريين إلى مجموعتين: أولئك الذين جاؤوا قبل الحرب وهم الآن غير قادرين على الحصول على تأشيرات جديدة من دائرة الهجرة الروسية بسبب انتهاء مدة فيزهم أو إقاماتهم، والواصلون خلال الحرب. وتشمل هذه المجموعة الأخيرة، على وجه الخصوص، أسر الذين جاؤوا إلى عند أقاربهم في روسيا بعد بدء الصراع. وكلا الفريقين لديهما كل الأسباب المحققة لطلب اللجوء.

منذ بداية الثورة السورية عام 2011 وحتى أواخر عام 2016 قدم 4462 مواطناً سورياً بيانات من أجل طلب اللجوء المؤقت، وحصل عليه 3306 شخصاً. ومع ذلك



اللاجئون السوريون في النرويج محظوظون ولكن...

فادي سعد

على الحجة أم محمد (خديجة العلي، 58 عاماً) أن تقضي 600 ساعة تعليمية في مدرسة اللغات في مدينة بيرغن النرويجية، بعد أن نالت حق الإقامة المؤقتة لمدة 3 سنوات منذ شهرين.

اللاجئ قد أنهى المستوى الرابع من اللغة النرويجية (B2) وأن يجيد اللغة الإنكليزية.

ولا يمكن لأي لاجئ، بحسب المدرّسة ريماء، أن يتقدم للحصول على الإقامة الدائمة (خمسة سنوات) دون أن يكون قد أنهى المستوى الأول من اللغة (A1)، بينما يجب عليه لتقديم الجنسية، بعد 7 سنوات، أن يكون قد أنهى المستوى الثاني (A2) ونجح في فحص العلوم الاجتماعية.

ويتمتع اللاجئون السوريون في النرويج بظروف أفضل من مثيلاتها في البلاد المجاورة، إذ يحق لهم انتخاب أعضاء المجالس البلدية في المناطق التي يعيشون فيها، كما تتكفل الحكومة النرويجية بدفع ما يسمى «بدل السكن» للاجئين، ويجب -بحسب القانون- أن يتبقى مبلغ 5580 كرونة لكل لاجئ (ما يعادل 600 \$ تقريباً) من الراتب الذي تقدمه الحكومة مهما كان إيجار بيته. كما يحصل معظم اللاجئين على الإقامة المؤقتة لمدة 3 سنوات، ما يؤهلهم للم شمل عائلاتهم. ومنذ أيام أصدرت الحكومة النرويجية «قانون ازدواج الجنسية»، وبموجبه لم يعد مطلوباً التخلي عن جنسيتك الأساسية حين تنال الجنسية النرويجية، الأمر الذي «أراح اللاجئين السوريين وأعاد إليهم الأمل وحققهم في العودة يوماً ما إلى بلادهم»، كما يقول حسين الخليل، وهو أحد السوريين الذين اضطرتهم الاستدعاء إلى الخدمة العسكرية إلى الفرار خارج البلاد.

ويضيف حسين، الذي أكمل سنتين في النرويج: «جميع الناس هنا لطفاء، ولم أشعر يوماً بالإهانة أو بالتمييز من أحدهم. دائماً الابتسام على وجوههم». أما عن السلبيات فيقول: «أكثر المصاعب التي واجهتنا كانت في طول المدة التي قضيناها في الـ«كامبائر المؤقتة»، فلا يوجد قانون يحدد هذه المدة ولا جهة تراجعها. بقيت ستة أشهر في الكامب وبعض الناس أكملوا السنة». كما يعاني اللاجئون من طبيعة النرويجيين المغلقة، فهم لا يقيمون علاقات اجتماعية حتى في ما بينهم، بحسب علي كنعان، وهو لاجئ سوري في بلدة TUSSE، عبر أن «العلاقات هنا صفر، فالجميع في عمله. ولكنهم يعاملون اللاجئين بطريقة جيدة ويجيبون عن تساؤلاتنا بلا امتعاض ولا تذمر، عكس ما شاهدته خلال رحلتي نحو النرويج في بلدان كألمانيا والنمسا وغيرها».

السيدة خديجة من إدلب. لا تجيد القراءة والكتابة باللغة العربية. أجبرتها ظروف الحرب على السفر إلى تركيا ثم إلى النرويج بعد أن وافقت الحكومة هناك على لم شملها لتلتحق بأولادها.

«بعد ما شاب ودّوه الكتاب»، تقول خديجة، لتكمل أنها لم تستطع تعلم أي كلمة نرويجية حتى الآن، ولكنها تأتي إلى المدرسة لأن مقابل كل يوم غياب بدون عذر يقتطع من راتبها ما يزيد على 50 \$.

محمد، ابنها البكر، قال إن هذا القانون جديد: «عند قدومنا إلى النرويج كان سن التعليم 54 سنة، ولكن الحكومة عدلت القرار ليصل حتى 67 عاماً».

تمشي السيدة خديجة 1 كم، خمسة أيام في الأسبوع، لتصل إلى مدرستها، في الظروف المناخية القاسية لمدينتها. فضلاً عن شعورها بالخجل كما قالت، فهي، في الغالب، لا تحل واجباتها المدرسية ولا تجيب عن الأسئلة التي تطرحها المدرّسة. «ع طول الأنتسة ربما بتتعاطف معي وما بتسألني». المدرّسة، عراقية الأصل، قالت: «أثبت السوريون أنهم أكثر اللاجئين اندماجاً وتعلماً»، وعن أم محمد قالت: «ليس هناك شخص لا يستطيع التعلم، أحاول دائماً تعليمها بعض الكلمات. أقدر وضعها، لكن القوانين هي القوانين».

وعن واقع التعليم في النرويج يقول أحمد مرعي، وهو محام لجأ إلى هناك منذ 3 سنوات، إن «منظمة nokot النرويجية تعمل على تعديل شهادات اللاجئين السوريين الراغبين في الالتحاق بالمدارس الثانوية أو بالجامعات، ولا يستغرق هذا الأمر أكثر من أربعة أشهر في الغالب، وبعد التعديل يلتحق من شاء بالجامعة لاستكمال دراسته بعد إضافة بعض المواد إلى مقرراته». وتنقسم المراحل الدراسية في النرويج، بحسب مرعي، إلى ثلاث: أولاً من الصف الأول وحتى العاشر، وليس هناك رسوب في هذه المرحلة ولكن «عائق اللغة هو ما يعانيه معظم الطلاب فيها». أما المرحلة الثانوية فمن الصف العاشر حتى البكالوريا، وهي مرحلة العلامات التي تحدد الفرع الذي سيكمل فيه الطالب. ويحق لجميع الأعمار التقدم للتأهوية العامة إلا أنه يشترط على البالغين أن يكونوا قد أنهوا المستوى الثالث من تعلم اللغة (B1). وأخيراً المرحلة الجامعية التي يشترط فيها أن يكون

رياض درار

الأب العربي حين يلحق الأبناء أصول الدين والسياسة

سمهر الخالد

رغم أن السجن، وقراءة مفكري المغرب العربي ومصر ما بعد العروبيين، أتاحا لرياض درار بعض تجسير الهوة بين شخصية الخطيب التي كانها في مدينته دير الزور، بجامع العريف الذي كان تحت وصاية مستشار بشار الأسد للشؤون الإيرانية حيدر العريف، وشخصية السياسي العلماني الذي يحاول المشاركة في العمل المدني والدفاع عن حقوق الإنسان؛ لكن الشخصية الوصائية الموروثة والمعززة ناصرياً لن تتركه وشأنه.

فرياض، المولود عام 1954، والذي زار مصر حين كان طالباً في كلية الآداب بدمشق واحتفظ من تلك الزيارة بصورة له مع المفكر عصمت سيف الدولة، ظلت معلقة في بيته حتى بداية الثورة؛ سيظل وفيماً لناصرية تنظيمياً في الوجدانيين الاشتراكيين حتى وقت طويل، وعقلياً حتى الآن.

بعد أن عاد الأستاذ من رحلة تدريس ودراسة في السعودية تقرب من جماعة زيد في دمشق، وحضر دروساً لجودت سعيد، وعمل في تحفيظ القرآن في دير الزور، إلى جانب عمله في الخطابة حتى مطلع القرن الحالي، حين بدأ يتقرب من الخزنوية في القامشلي، والتي ستمنحه، على ما اعتقد، ميزة كونه شيخاً عربياً يدافع عن حقوق الأكراد، كما نقل مقربون منه. لكن ذلك لم يؤهله للمشاركة في لجان إحياء المجتمع المدني، ما دفعه إلى إقناع نواف البشير بالاتجاه نحو المعارضة، والتجهيز لمؤتمرها المعروف في دير الزور عام 2005، الذي تولى السياسي المبتدئ رياض تنظيمه رغم اعتراض حزب الشعب، إلى جانب التحضير لتأسيس حزب المستقبل العربي الذي شارك في المؤتمر، وتبنى حينها رفض الفيدرالية، التي اكتشف فيها مؤامرة أميركية كردية لإقامة دولة للأكراد، ما قربته وقتها من حزب تيار المستقبل الكردي برئاسة مشعل تمو، بينما يتطلع درار اليوم إلى النظام الفيدرالي «كشرط لتحقيق الوحدة في سوريا».

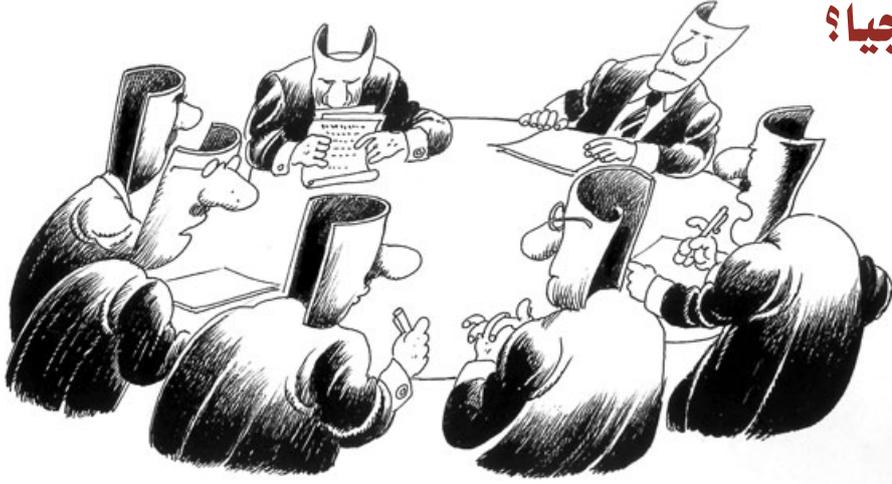
يبدو مجانياً اعتقاله لأربع سنوات ونصف بسبب التهمة التي وجهها لـ«أوباش» بقتل الشيخ معشوق الخزنوي، كمجانية استقالته أو إبعاده عن هيئة التنسيق بسبب لا يملك وضعه على منشور ينتقد هيثم مناع، بعد أن أخرجته مظاهرات مدينته من العزلة التي كان يعيشها في مكتبة القرضاسية التي افتتحها بعد السجن، ليدعوه لؤي حسين إلى مؤتمر سميراميس، ويعود بعدها إلى الواجهة بمبادراته المنفردة في دير الزور، وتوجهه مع أربع شخصيات محلية لمقابلة أصف شوكت عند اقتحام الجيش المدينة في 2011، وقد تغير كثيراً بعدها إذ رأى أن النظام يحسب حساباً كبيراً للثورة. لكن الأستاذ رياض، الذي ترك المدينة منتصف 2012 باتجاه القامشلي، كان ما زال يرى ضرورة التفاوض مع إيران لأنها «دولة عظمى».

ومن دمشق إلى القاهرة ثم إلى طلب اللجوء صار لدى الشيخ رياض ما يفعله في المؤتمرات، كداعية متنور يعيش من مردود ترده إليها، ليرسل الراتب الذي يتلقاه من حكومة النمسا إلى عائلته في أوروبا التركية. وباستثناء دفاعه التشبيحي عن



الائتلاف في نهاية 2013، حين اتهم من يهاجمه في الداخل أو الخارج بالعمالة للنظام، فإنه ظل كارهاً له ومعرضاً بمواقفه. أما أبناء بلده (أخوة بطة، كما خاطبهم على الفيسبوك) الذين كان يحثهم على مقاومة النظام وقتها، فيرى فيهم اليوم مجرد «عوام» وأصوات لا فعل لها، بعد أن أصبح الرئيس المشترك لمجلس سوريا الديمقراطية، والمروج العربي لقوات سوريا الديمقراطية، التي يرى فيها طليعة المجتمع وتمثيلة الحاد، ومكونها الأساسي، كما هو معروف، وحدات الحماية الكردية المتهمه من منظمة العفو الدولية بارتكاب جرائم حرب ضد المدنيين.

ورغم أن ما يسميه نظرية، أو نتفه الانتقائية من محمد عمارة ومحمد أركون ونصر حامد أبو زيد وراشد الغنوشي وغيرهم، حول العلمانية الإجرائية و«أنتم أعلم بشؤون دنياكم» و«إنما أنت مذكر» و«لا كهنوت في الإسلام» و«صحيفة المدينة» و«الشورى والمقاصد» تظهره بمظهر المفكر والسياسي السلمي، إلا أنه كثيراً ما كان يوجه النصائح والتكتيكات العسكرية للفصائل المقاتلة في مدينته، على صفحته الشخصية في الفيسبوك. وفي حين يوجه نداءات من أجل تجديد ديني (وليس إصلاح) ويرفض الإسلام السياسي الذي يعيده إلى تأثير إنكليزي في الهند، فإنه يعتقد أن «الوحشية التي رافقت الحرب الأهلية في سوريا لم تكن مفاجأة، فهي امتداد لتاريخ طويل يربطها بتاريخ شهد قتل عمر وعلي وعثمان والحسين»، وبالإضافة إلى ممارسة الإفتاء على صفحته في الفيسبوك، حين يتطلب الأمر، فإنه لا يترك مناسبة إلا ويصرح فيها، بالعقل الخطابي الذي ينتقده، أن العلمانية متضمنة في الإسلام، وأن النهضة الأوروبية حدثت بسهولة لأنه ليس لديهم فقه ولا فقهاء. يظهر الشيخ الأستاذ رياض اليوم بعباءة كبيرة عليه، لكنها لافتة للأنظار، ليحرم الإسلام السياسي بفتاوى إسلام سياسي مركب على عجل، يروج أنه مبتكره، ويمضي في دوره بتلوين العلم الأصفر، وباحتكار قضية الأكراد السورية، متهماً جميع السوريين بالتآمر ضدها.



المواطنة، ضرورة أم أيديولوجيا؟

أحمد عيشة

أي مهمة كان على الثورة السورية أن تواجه لتكشف ما كان مدفوناً إلى درجة التعفن من طبقات متكدسة من الألم والحرمان من جهة، والتوق إلى الحرية من جهة أخرى؟

لم يقبل المتسكعون في الهوامش، الذين اختاروا لأنفسهم حيطاناً سياسية تقيهم حرقه الواقع وتبعدهم عن متاعب الحياة، أن يجدوا أنفسهم مرميين بعيداً، بل قرروا الصعود إلى مكان يمكنهم من توجيه سهام نقدهم وتشريحهم لحركة شعب سئم الظلم، وممل من خطابات كل المتعجرفين والمتعاليين عليه، فانتفض دون حساب وتخطيط لليوم التالي، سوى أن الله سيفتح له درباً وأن حركته ستوصله إلى حياة أفضل.

اعتقد هؤلاء المتسكعون أن هناك فرصة لهم بعد أن تجاوزهم الحدث، فكان تغيير الرداء أسلوباً لبث الروح في جسد لا يريدون إعلان موته: إنهم أبناء التنظيمات السياسية العتيقة ذات الأيديولوجيات الشمولية التي تحاكي الغيبيات، بمعنى أنها تمتلك الإجابات والحلول لكل القضايا، ولا يعترها الخطأ أو يساورها الشك ولو للحظة في ما تعتقد. فتوصل فرسانها بعد جهد ذهني كبير إلى أن الثورة قد انحرفت، وأن شمة «حرامياً» قد سرقها وحولها عن طريقها المرسوم. فظلوا طفوليين في السياسة رغم مرور عقود على تجربتهم الفضة، حيث النمو المشوه وقراءة التاريخ القاصرة، والتي تذكر كثيراً بحكاية الجمل والثعلب عن مياه النهر، عندما سأل الثعلب الجمل كم هو عمق المياه؟ فرد عليه الجمل: تصل إلى الركبة. واندفع الثعلب إلى المياه فوجد نفسه غائصاً تحتها. وبعد جهد متعب تمكن من رفع رأسه معاتباً الجمل: ألم تقل لي إن عمق المياه يصل إلى الركبة! فرد الجمل: نعم، ولكن «ركبتي أنا».

كانت قراءة التاريخ لدى تلك

وفي بلاد المهجر والنزوح، حيث يقتل الملل والفرغ حياة «النخبة» السياسية، تتحرك لدى هذه النخبة من جديد روح إعادة تأسيس حركات وتجمعات سياسية، يجمع بينها خطاب واحد هو الذي يدعو إلى دولة المواطنة، التي هي ليست أكثر من تصور أيديولوجي يدعو إلى المساواة بين المواطنين، كما يتمتع ويعيش مواطنو دول العالم المتقدم. فيرى أصحاب هذه الدعوة أن المجموعات العرقية البشرية جميعاً تنتمي إلى جماعة واحدة أخلاقية مشتركة، وبالتالي هناك حاجة إلى نوع من الحكومة العالمية. بمعنى أن خطاب هذه «النخب» مازال طفولياً، يعيش أصحابه حالة من وهم النصح السياسي لأنهم يشتغلون في السياسة منذ «نعمتة أظافرهم» غير مدركين أن نموهم السياسي توقف لحظة تعاليهم وافتراقهم عن الناس، وأن هذا الخطاب الذي يدعو إلى الوحدة والتقارب -مثله مثل دعوات شرعيي الفصائل العسكرية إلى التوحد- لم يشكل أي سبب أو داع لتقاربهم أو حتى التنسيق بينهم. فحسابات الفرقة والاختلاف أكبر: النزوح الوهمي نحو الزعامات، والولاء والارتباطات الإقليمية والعالمية.

ما إن ينزع السياسي نحو التنظير والتعالي حتى يتحول خطابه إلى دعوى تكتفي بتوجيه النصح، وتتحول السياسة إلى دروس إرشاد، بعيداً عن مجالها الحقيقي الذي تجب العودة إليه وهو الناس والوقائع والعلاقات بينهما وطرح الخطط المناسبة، لا قسر كل ذلك ضمن تصورات جاهزة مهما كان مصدرها.

الأحزاب، جديدة الرداء تقليدية المضمون، تقيس بشكل ميكانيكي، مقصية الزمان والمكان والفاعلين الاجتماعيين، أي التاريخ، فتصل إلى حلول تشبه كثيراً حكاية الثعلب الذي غطس في المياه بناء على كلام الجمل.

لم ندرك بعد أن السياسة ممارسة وفعل اجتماعيان لقوى وأفراد من لحم ودم، لبشر وليس لأعداد من «الجماهير»، وأن مسارها صراع وتسويات تخضع للعوامل المذكورة للتو، وليست برامج نظرية مغلقة تشترط مطابقتة الحدث لها حتى يحوز مشروعيتها، وإلا فالانحراف والتشويه وغيرهما من التصنيفات التي تطابق وعي النخبة. فمن يتتبع حركة الوقائع في سورية يجد أنه لم يبق من الشعب إلا القليل، بعد هجرة ونزوح الملايين وانشغالهم بقضايا الحياة اليومية في المهجر وبلدان النزوح ومخيمات الشتات، حيث يتعرض الناس لصنوف من الابتزاز والمعاناة لا مثيل لها. فالمياه صارت حلاً للكثيرين في بعض الأماكن، ويتطلب الحصول على الطعام الانتظار على طوابير الجمعيات «الخيرية» التي تشترط التقاط الصور قبل التوزيع. فيما يجري، في السر والعلن، بين الدول الإقليمية والكبرى، رسم وإعادة تشكيل بلدنا وفق مصالحهم واستراتيجيات أمنهم بعيدة المدى، وخاصة إيران التي تمضي أبعد من الجميع في مشروع التهجير القسري والتغيير السكاني، كما لا يغيب عن بالها نشر مذهبها الذي يقتضي بالضرورة كراهية الآخر المختلف.



«قسد» ليست القوة المناسبة لتحرير دير الزور

سعد عبد الباري

ما إن يهزم تنظيم داعش في محافظة الرقة حتى تتجه الأنظار إلى دير الزور بوصفها، حينذاك، المعقل الأساسي الأخير للتنظيم في جزئه السوري على الأقل.

وجعل الهزيمة المرتقبة لداعش في الرقة خلال الأشهر القادمة لا يبدو أن لدى الولايات المتحدة الأمريكية، قائدة التحالف الدولي ضد التنظيم، خطة أو مشروعاً واضحاً حول دير الزور. لكن، ومهما كانت خارطة الصراع ومعطياته المستجدة في اليوم التالي لطرد داعش من عاصمتها السورية، لا بد أن تؤخذ جملة من الوقائع والعوامل المتشابكة في الحسبان. إذ تشكل محافظة دير الزور قيمة رمزية وفعالية كبرى للتنظيم، بعدها دليلاً على بقاء داعش كـ«دولة» رغم كل الانكسارات. كما ستكون المقصد الحصري لفلول داعش المهزومة على جبهات الحرب في سورية وربما في العراق، ما قد يرفع من القدرات القتالية لها إن استطاع قادتها العسكريون الاستفادة من الوفرة العددية الحاصل حينذاك، ومن الوفرة الحاصل في الذخيرة والسلاح أيضاً، نتيجة تقلص عدد المعارك المندلعة على جبهات متباعدة. وما لم تحدث انهيارات كبرى في صفوف التنظيم على شكل انشقاقات أو تمرد أو استسلام جماعي، وهي أمور مستبعدة حتى الآن، ستكون لداعش فرصة للدفاع عن نفسها في دير الزور بشراسة أشد منها في مواجهات سابقة، ولكن من غير أن تقدر في النهاية على تغيير النتيجة المحسومة ضدها على أي حال.

بلا شك سيكون لمهية القوى التي تنتزع دير الزور من قبضة داعش تأثير بالغ الأهمية على مجريات المعركة وعلى الاستقرار المنشود بعدها. وحسب ما يتردد، من غير تأكيد، يبدو أن «قوات سوريا الديمقراطية» (قسد) هي المرشح الأوفر حظاً لتولي مهمة الوكيل الرئيسي وربما الحصري للأميركيين في حربهم ضد داعش في دير الزور، ما لم يتفعل دور الفصائل العسكرية العاملة على أطراف بادية الشام انطلاقاً من الحدود الأردنية. ورغم الإغراء الذي يمثله الاعتماد على «قوات سوريا الديمقراطية» بالنسبة إلى الأميركيين، بوصفها شريكاً مجرباً وفعالاً، لا يبدو هذا الاعتماد حكيماً ولا عادلاً ولا مستوعباً لمعطيات المشهد الأخذ في التعقيد يوماً بعد يوم. لأن هذا الاحتمال لا يحسب كفاية ولا يخطط لمرحلة ما بعد داعش، ولأنه يتجاهل -عن عمد- آلاف المقاتلين من أبناء دير الزور المتوزعين على فصائل شتى، ويمكن



من السجل اليساري العالمي حول سورية: كيف يمكن لكم أن تبرروا ما لا يمكن تبريره؟!

جوليان سالينج

موقع Socialist Worker الأميركي / 4 كانون الثاني

ترجمة مأمون حليبي

بعد المجازر التي قام بها نظام بشار الأسد وحليفاه، روسيا وإيران، في حلب؛ يكتب جوليان سالينج، العضو في حزب فرنسا الجديد المعادي للرأسمالية، رداً على اليساريين الذين رفضوا إدانة المذبحة ورفضوا تأييد المقاومة ضدها.

وحتى «ثورية». وباسم هذه الفضائل تحاولون إقناعنا أن علينا حالياً ألا نكون في صف أهالي حلب المحاصرين والمذبوحين، وغداً علينا ألا نكون مع بقية المدن المحاصرة حينها، والمذبحة لاحقاً. ما أراه هو أن ما كان يشكل جوهر الإرث المشترك للييسار المعادي للإمبريالية هو الوقوف في صف الشعوب التي تسحقها الدول الإمبريالية وحلفاؤها. وانطلاقاً من هذا الإرث لم تكن نساوم على التضامن الأممي. وكنت أأمل أنه، بالرغم من مواقفكم بخصوص المأساة السورية، فإن استشهاده مدينة حلب سيعيدكم إلى جادة الصواب. لكن لا. أنتم عنيدون. إنكم تتأبرون على محاولة شرح أن «الأمر ليست بهذه البساطة»، وأنه في هذه الحرب لا يوجد «أشخاص طيبون في طرف وأشرار في الطرف الآخر»، وأن علينا أن نبقي هادئين وألا نستسلم لما هو سهل. وتقترحون علينا تحليلاً معقداً ومنمقا يأخذ المنحى التالي: «كلا، الأسد ليس ديمقراطياً، والبلدان التي تسانده ليست نماذج تحذى أيضاً. لكن انتبهوا: ما يسمى بالتمرد السوري مكون بأغلبه من قوى تتحدر من الإسلام الأصولي، وحتى الجهادي، وهي قوى تتحكم بها وتسليحها أنظمة رجعية كالسعودية وقطر وتركيا، وحتى الدول الراحية للدول الأخيرة، ولا سيما أميركا وفرنسا».

إنكم تنسون الشعب السوري

أول مشكلة في تحليلكم هذا هو أنكم تنسون فاعلاً أساسياً: الشعب السوري، وتنسون أن نقطة انطلاق الأحداث في سوريا ليست تدخل أي من تلك الدول، ولا حتى التدخل الروسي. نقطة انطلاق كل ذلك هو أن مئات آلاف السوريين والسوريات هبوا، في آذار 2011، ضد نظام دكتاتوري وحشي، كما فعل أشقاؤهم في تونس ومصر وليبيا. ولو لم يقرر الأسد وشبيحته قمع الثورة بشكل وحشي لكان قد سقط أيضاً تحت الضغط الشعبي. إننا نتكلم عن سنة 2011، عندما أثارت الثورات الأخرى في المنطقة حماسكم. «الشعب يريد إسقاط النظام»، أتذكرون؟

أيها «الرفاق»

منذ أسابيع وأنا أقول لنفسي إنني سأكتب لكم. وكانت الأحداث المأساوية في حلب وردة فعلكم عليها، وأحياناً غياب ردة فعلكم، هي ما أقتنعني أنه قد أن الأوان لأخاطبكم. ليس بالضرورة بهدف إقناعكم، فأنا أعتقد أنه قد فات الأوان لسوء الحظ، لكن بهذه الطريقة ستكونون قد حذرتهم ولن تستطيعوا الادعاء بأنكم لم تكونوا تعرفون.

باسم معاداة الإمبريالية؟

كانت حلب ضحية مجزرة حقيقية لا يمكن للمرء إلا أن يقارنها بمدن شهيدة أخرى مثل سريبرينيتسا وغروزني والفلوجة ووارسو وغيرنيكا، أو مخيم صبرا وشاتيلا. الشهادات المباشرة من المدينة، الصادرة عن سوريين عاديين وليس فقط عن أفراد الجماعات المسلحة، مبعرة. كلمات وصور تحكي عن الكارثة والعجز والرعب. لكنكم، أيها «الرفاق»، بذلتهم قسارى جهدكم لتشرحوا أن علينا ألا ننشغل بسكان حلب، وأن لا ضرورة لشجب القصف الذي هم ضحاياه، ولا لشجب الانتهاكات التي يرتكبها الجنود أثناء «تحرير» المدينة.

إن كنت أخاطبكم بأيها «الرفاق» فذلك لأننا كنا شركاء في معارك كثيرة، خصوصاً في الكفاح من أجل حقوق الشعب الفلسطيني، ولأنني كنت أعتقد أنه، بالرغم من خلافاتنا، لدينا مبادئ مشتركة. في الحقيقة، لا شيء لدي أقوله لليمين واليمين المتطرف المناصر لبوتين و/أو للأسد. فهم واضحون في دعمهم للأنظمة الاستبدادية باسم قيم مشتركة بينهم، ولن يقدموا أنفسهم أبداً على أنهم يريدون بناء تضامن حقيقي مع المضطهدين. لكنكم أنتم، أيها «الرفاق»، تنسبون إلى أنفسكم فضائل «تقدمية» ومعادية للإمبريالية» و«اشتراكية»

من المحتمل أنكم حتى قد هتفتهم هذا الهتاف في شوارع مدينة فرنسية ما، أنتم، المغرمون بالحرية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية. في سوريا هُتِفَ هذا الهتاف إلى جانب نفس المطالب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي هُتِفَ بها في بلدان المنطقة الأخرى التي تأثرت بالثورة، ولم تكن للرياض والدوحة وباريس وواشنطن علاقة بكل هذا. وإذا كنتم مهتمين بالمسألة السورية إلى هذه الدرجة فلا بد أنكم تعرفون بأنه في كل مرة حصلت فيها هدنة كانت المظاهرات تعود، وتعرفون أنه لولا تدخل إيران ثم روسيا لكان النظام قد سقط تحت ضغط الشعب، وليس تحت ضغط بضعة آلاف من «المقاتلين الأجانب» وصلوا بعد وقت طويل من قتل النظام آلاف السوريين العزل وإخراجه مئات الجهاديين من السجن. تكمن جذور «الأزمة» السورية في الاحتجاج الشعبي ضد عائلة، وردّ هذه العائلة على هذا الاحتجاج بتدمير كل شيء.

راجمة صواريخ مقابل سلاح الطيران

المشكلة الثانية في تحليلكم هي أنكم تساوون بين الدعم الروسي والإيراني للنظام وبين الدعم المقدم من أميركا وفرنسا وتركيا ودول الخليج لقوات المعارضة السورية. إنكم تحاولون جعلنا نصدق أنه لا يوجد تفوق عسكري كاسح للنظام وحلفائه، وأن «للأسد الحق في الدفاع عن نفسه». لكن أتجرؤون حقاً أن تقارنوا بين آلاف «المستشارين العسكريين» الإيرانيين وآلاف مقاتلي حزب الله والقوة الجوية الروسية، الذين يدعمون دولة وجيشاً نظامياً، وبين أسلحة صغيرة وراجمات صواريخ مقدمة أو ممولّة من دول الخليج وتركيا، وأسلحة صغيرة وراجمات صواريخ وبضعة أسلحة مضادة للدبابات وأنظمة اتصالات وأجهزة رؤية ليلية مقدمة، بالقطارة، من أميركا وفرنسا؟

أتعرفون أن ما كانت قوى المعارضة تطلبه منذ البداية هو صواريخ مضادة للطائرات للدفاع عن نفسها، وأن أميركا هي من تمنع بشكل ممنهج تسليمهم هكذا أسلحة؟ أتذكرون أنه في أيار الماضي قامت السفارة الروسية في بريطانيا بثبث صور على تويتر مأخوذة من لعبة فيديو [1] لتبرهن أن قوات المعارضة

كانت تتلقى أسلحة كيميائية؟ لذا، دام فضلكم، لنكن جديين!
من الذي يدمر سوريا؟

المشكلة الثالثة في تحليلكم أنكم تنسون عنصراً أساسياً: الوقائع. فقط افتحوا أعينكم واسألوا أنفسكم هذا السؤال البسيط: كيف دُمّرت سوريا؟ عندما تعلقون على صور المدن المدمرة بالقول إنه يوجد «عنف من كلا الطرفين» فإنكم تخفون تفصيلاً: من الذي يملك الأسلحة الضرورية للتسبب في دمار بهذا الحجم؟ من يستطيع تنفيذ عمليات قصف؟ أين طائرات المعارضة؟ أين دباباتها؟ مخبأة تحت الأرض، مثل جيش صدام حسين الخارق الذي كان يهدد العالم بأسره؟ كم طائرة أسقطتها طائرات المعارضة؟

تعتبرون بأن «التحالف» بقيادة أميركا يتدخل عسكرياً. لكن هل بإمكانكم أن تعطوني قائمة بعمليات قصف التحالف لقوات الأسد أو القوات المساندة له؟ لا تضيعوا وقتكم بالبحث. فوفقاً لنظام دمشق ووسائل إعلامه حدث هذا الأمر مرتين؛ الأولى في كانون الأول 2015، في دير الزور، وقد أنكر التحالف أنه استهدف الجيش السوري وادّعى أنه قصف داعش، والثانية في أيلول 2016، قرب مطار دير الزور، وفي هذه المرة اعترف التحالف بقصفه مواقع النظام واعتذر رسمياً للأسد ولبوتين. باختصار، التحالف الذي يدّعي القيام بحوالي خمسة آلاف «ضربة» في سوريا استهدف نظام الأسد مرتين منذ بدء حملة القصف عام 2014. لذا، من فضلكم، سجّلوا في دفاتركم: «العمليات العسكرية الحقيقية التي نفذها التحالف استهدفت داعش وجماعات جهادية أخرى، لا الأسد

وحلفاء».

أخيراً، بعض الملاحظات «الوقائية»

• قبل أن تقولوا لي إنني أدافع عن نفس مواقف أميركا وفرنسا والسعودية وقطر وبرنارد ليفي أو غيرهم، تذكروا أنكم تدافعون عن نفس مواقف روسيا وإيران والسياسي ومارين لوبين.

• قبل أن تقولوا لي إن إسرائيل قصفت مواقع لنظام الأسد خمس عشرة مرة منذ 2011، تذكروا أن بوتين صرّح: «أثرتنا، نحن والاسرائيليين، الحاجة إلى جهود مشتركة لمحاربة الإرهاب العالمي. على هذا الصعيد، نحن حلفاء».

• قبل أن تقولوا لي إن المتمردين السوريين لجأوا إلى الدول الغربية طلباً للمساعدة العسكرية، تذكروا أن القوات الكردية التي تعجبون بها بالغ الإعجاب فعلت الأمر ذاته، وقد نالت هذا الدعم وشكرت الولايات المتحدة علناً على ذلك.

• قبل أن تقولوا لي إن المتمردين «حلفاء موضوعيون» لداعش، تذكروا أن الذين يذبحهم الأسد الآن هم من طردوا داعش من حلب في بداية 2014.

هذا، أيها «الرفاق»، ما أردت قوله لكم. اللهجة ليست سارّة، أجل، لكنها ليست سيئة إلى تلك الدرجة مقارنة باللامبالاة، وحتى أحياناً الاحتقار الذي تبدوونه نحو استشهاد حلب.

أترككم مع تشي غيفارا، فلديه ما يقوله لكم: «قبل كل شيء، حاولوا دائماً أن تكونوا قادرين على الشعور بعمق أي مظلمة ترتكب ضد أي شخص في أي جزء من العالم. إنها أجمل خصلة للإنسان ثوري».





سفير الجراد.. «العجي» الذي سيصبح وزير أوقاف

من الظلم لسفير الجراد أن يعزى صعوده في السنوات الأخيرة -مدير أوقاف دير الزور، فمستشار في وزارتها، ثم مدير مؤسسة القدس الإيرانية بفرعها السوري- إلى الثورة وحدها، فهو يصعد من قبل، ولم يدخر سعياً ليكون شيئاً معدوداً بعد طول تنكير.

لم يبق الجراد في وجهه قطرة ماء إلا وأراقها تملقاً لرجال السلطة والمال، ورجال الدين أياً كانوا، شواماً أو حليبين، سنة أو شيعة أو علويين. ومن جامع إلى جامع كان طوافاً منذ غادر دير الزور إلى دمشق، منتصف تسعينات القرن الماضي، بعد ثانوية متعثرة ومعهد زراعي حطم قلب الولد غيرة من رفاقه الجامعيين. وسرعان ما تعلم أنجع الطرق إلى قلوب المشايخ، فصار مريداً للجميع، كفتارو ومشتقاته، البوطي والزحيلي والبزم ومحمد حبش، وأولاد الضرفور. مع ترقب لإطلاقات جودت سعيد كل أسبوع، ودروس حسين فضل الله في الحوزة في السيدة زينب. وشمالاً نحو صهيب الشامي ومحمود عكام وأحمد حسون، في حلب التي كثيراً ما سافر إليها عائداً بصور تذكارية معهم وكتبهم الممهورة بالإهداءات التي وصفته بالأخ ثم الشيخ ثم العالم حتى قبل أن يكمل دراسته الشرعية في فرع الأزهر بمعهد الفتح. وأثناء سفرته القصيرة إلى القاهرة لامتحان التخرج، كما يقضي قانون الأزهر، تعرف إلى شيوخ مصريين وصار

يقدم نفسه ويقدمه بعضهم كشيخ من سوريا، فظهر مرة أو مرتين مقابل محمد عمارة في برنامج تلفزيوني. وفي غفلة عن العيون قال سفير إنه نال الماجستير، ثم الدكتوراه، في أصول الفقه من الجامعة الأميركية المصرية، وهي جامعة وهمية كانت حديث الصحف كمثال على فساد التعليم الخاص هناك.

بعد الدكتوراه وانطلاقها على كثيرين، طلق سفير زوجته وتزوج ابنة راعيه وعرابه الرئيسي الشيخ حسام الدين الضرفور. ومن خلال «عمه» الجديد انفتحت له شبابيك سعد طالما حلم بها، فامتلاً هاتفه بأرقام رؤساء فروع أمنية، ومدراء مكاتب وزراء، وتجار كبار. ثم، ومع اندلاع الثورة، ترقبت القائمة إلى رؤساء إدارات أمنية، ووزراء ومقربين من عائلة الأسد. وبعد سنتين فاق العم نفوذاً، ليصل إلى بئينة شعبان مستشارة بشار، وباسل جدعان شقيق زوجة ماهر، رئيسيه الفخريين في مؤسسة القدس التي تستضيف أثقل الضيوف الممانعين. وإلى جانب تلك المؤسسة يظهر

سفير على تلفزيونات النظام وشقيقاتها اللبنانية والعراقية والإيرانية، متحدثاً عن المؤامرة ونبذ التعصب والتقريب بين المذاهب وفنائل آل البيت، وفي جوامع دمشق الكبرى يلقي دروساً في فنائل الأعمال، والعقيدة، ويحاضر كأستاذ في الجامعات والمعاهد عن فقه الأئمة، ويدرب في ورشات خاصة شيوخاً أصغر رتبة في هذا «الفقه».

حين كان طالباً في معهد الفتح سرق حلقات بحث من زملائه، وسرق من جيوب من باتوا في بيته نفوذاً، وسرق نصيب إخوته لدى تقسيم الإرث، وربما كان وراء اعتقال أحدهم واختفائه في سجون النظام منذ سنوات. ورغم كل هذه الرذائل، يصر عارفوه من أبناء دير الزور على وصفه بـ«العجي» قبل أي وصف آخر. ولكن «العجي» قال، في أول سنواته مع التدين، إنه لن يرضى في المستقبل بأقل من رتبة وزير أوقاف!

عضو الشبكة السورية
للإعلام المطبوع

SNP

مجلة عين المدينة نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

[@AynAlmadina](https://www.facebook.com/AynAlmadina)

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

[/3aynAlmadina](https://www.facebook.com/3aynAlmadina)





من مدينة الباب بعد التحرير
عدسة سعد السعد - خاص عين المدينة